٤ ـ هكذا قال زرادشت

للفيلسوف الألماني فردريك نيتشه

ترجمة الأستاذ فليكس فارس

خطب زرادشت

التحول فى ثلاث مراحل

سأشرح لكم تحوّل العقل فى مراحله الثلاث فأنبئكم كيف استحال العقل جملاً ، وكيف استحال الجمل أسداً ، وكيف استحال الأسد أخيراً فصار ولداً

إنها لعديدة تلك الأحمال التى تثقل العقل الجَلْد الصليب الذى يتجلى الوقار فيه ، فأن صلابته تتوق إلى الحمل الثقيل بل إلى الحمل الأثقل

يفتّش العقل السليم عن أثقل الأحمال فيُنيخ كالجمل ظهره متوقعاً رفع خير حمل إليه . إن العقل السليم ينادى الأبطال قائلاً : أىّ حمل هو الأثقل لأرفعه فتغتبط به قوتى ؟ أفليس أثقل الأحمال هو فى الاتضاع لانزال العذاب بالغرور ؟ أفليس أثقلها أن يبدى الانسان اختلالاً لتظهر حكمتُه جنوناً ؟

أم أثقلها فى تخلّى الانسان عن مطلب حين يقترن هذا المطلب بالنصر ، أم فى ارتقاء قمم الجبال لتحدّى من يتحدّى ؟

أم أثقلها فى أن يتغذّى الانسان بأقماع السنديان والأعشاب ويتحمّل مجاعة نفسه من أجل الحقيقة

أم أثقلها فى احتمال المرض وطرد العائدين المعزّين ، أم فى مخادنة الصمّ الذين لا يسمعون ولا يعون ما تريد ؟

أم أثقلها فى الانحدار إلى المياه القذرة إذا كانت الحقيقة فيها والرضى بملامسة الضفادع الازجة والمقارب التى تقطر صديداً

أم أثقلها فى محبة من يحتقرنا وفى مدّ يدنا لصافحة شبح يقصد إدخال الرعب إلى قلوبنا . إن العقل السليم يحمل ذاته جميع هذه الأثقال الرهقة ، وكالجمل الذى يسارع إلى طريق الصحراء عندما يرفع الوقرَ عن ظهره ليندفع هو أيضاً نحو صحرائه

وهنالك فى الصحراء القاحلة يتمّ التحوّل الثانى إذ ينقلب العقل أسداً لأنه يطمح إلى نيل حريته وبسط سيادته على صحرائه

وفى هذه الصحراء يفتش عن سيده ليناصبه العداء كما ناصب سيده السابق ، فهو يستعد لمكافحة التنّين والتغلب عليه

ومن هو هذا التنّين الذى يتمرد العقل عليه فلا يريد بعد الآن أن يرى فيه ربه وسيده ؟

إن التنين هو كلمة « يجب عليك » وعقل الأسد يريد أن ينطق بكلمة « أريد »

« إن كلمة (الواجب) تترصد الأسد على الطريق تنّيناً يدّرع بآلاف الأصداف وعلى كل قطعة منها تتوهج بأحرف مذهبة كلمة « يجب عليك »

وعلى هذه الأصداف تشع سنو ألف عام والتنّين الأعظم يعج قائلاً إن جميع السنين تتوهج علىّ

كل ما هو سنّةٌ قد أُوجد من قبل ، ولى تتمثل جميع السنن الكائنة . والحق أن كلمة « أريد » يجب ألا ينطق بها أحدٌ بعد ! هكذا قال التنّين

فأية حاجةٍ لكم أيها الأخوة بأسد العقل ؟ أفما يكفيكم الحيوان القوى الجليل الممنّع بامتناعه ؟

من العبث أن تطمحوا إلى خلق سنين جديدة ، إن الأسد نفسه ليعجز عن هذا الخلق إذ لا يسعه إلا أن يستعد بتحرير نفسه لخلق جديد لأن قوته لن تتجاوز هذا الحد

أيها الأخوة ، إنّ العمل الذى تحتاجون فيه الى الأسد إنما هو تحرير أنفسكم والوقوف ببطولة الامتناع فى وجه كل شىء حتى وجه الواجب . ذلك أيها الاخوة هو العمل الذى تحتاجون الى الأسد للقيام به

إن الاستيلاء على حق إيجاد سنن جديدة يقضى بالجهاد العنيف على العقل الخشوع الصبور ، ولا ريب أن فى هذا الجهاد قسوة لا يتصف بها إلا الحيوانات المفترسة

لقد كان العقل فيما مضى يتعشق كلمة « الواجب » كأنها أقدس حق له ، وقد أصبح عليه الآن أن ينظر حتى الى هذا

الحق المفدّى فيراه توهماً واعتسافاً ، ليتمكن بارهاق عشقه أن يستولى على حرّيته وليس غير الأسد من يقوم بهذا الجهاد

ولكن ما هو العمل الذى يقدر عليه الطفل بعد أن عجز الأسد عنه ؟ ولماذا يجب أن يتحوّل الأسد المكتسح الى طفل ؟

ذلك لأن الطفل طهرٌ ونيسانٌ ، لأنه تجديد ولعب وعجلة تدور على ذاتها فهو حركة البداية وعقيدةٌ مقدّسة

أجل أيها الاخوة إن العمل الإلهىّ للأبداع يستلزم عقيدة مقدسة ، فأن العقل يطلب الآن إرادته ، ومن فقد الدنيا يريد الآن أن يجد دنياه

لقد ذكرت لكم تحولات العقل الثلاثة فأوضحت كيف استحال العقل جملاً وكيف استحال أسداً وكيف استحال أخيراً الى طفل

هكذا قال زارا ، وكان فى ذلك الحين مقيما فى مدينة اسمها البقرة العديدة الألوان

منابر الفضيلة

وبلغ زارا خبر حكيم أطنب الناس فى علمه ومقدرته فى التكلم عن الكرى وعن الفضيلة فحبوه بالتكريم والتبجيل واتبعه عدد من الشبان أصبحوا دعامة لمنبره العالى ، فذهب زارا وجلس معهم أمام المنبر مصغياً إلى الحكيم فكان يقول :

مجدوا الكرى وعظموه لأن له المقام الأول وتحاشوا مرافقة من ساء رقادهم ومن استحوذ عليهم الأرق

إن اللص ليقف خاشعاً أمام الكرى فيدلج فى الليل مخرساً وقع أقدامه ولكن الساهر المجازف لا يتورع عن حمل بوقه

ليس بالسهل أن يعرف الانسان كيف يستسلم لسنة الكرى وليس إلا لمن عرف كيف ينتبه طول النهار أن ينام ملء جفنيه

يجب عليك أن تقاوم نفسك عشر مرات فى النهار فتغنم خير التعب وتهيىء المخدر لروحك

عليك أن تصالح نفسك عشر مرات فى النهار لأنه إذا كان فى قهر النفس مرارة فأن فى بقاء الشقاق بينك وبينها مايزعج رقادك

عليك أن تجد عشر حقائق فى يومك كيلا تضطر إلى السعى وراءها فى نومك فتبقى نفسك جائعة

عليك أن تضحك عشر مرات فى يومك لتكون مرحا كيلا تزعجك معدتك فى ليلك والمعدة بيت الداء

قليل من يعرف هذا من الناس ؛ ولن يتمتع بالرقاد الهنىء إلا من حاز جميع الفضائل . فاذا ما المرء أدى شهادة زور أو تلطخ بالزنا وإذا هو اشتهى خادمة قريبة فقد حرم وسائل الهناء فى نومه

غير أن المرء يحتاج فوق فضائله إلى شىء آخر وهو أن يدفع إلى الرقاد بفضائله نفسها فى الزمن المناسب

إن من الفضائل من هى كالغانيات المتجنيات ، فأقم بينهن حائلا كيلا ينتهين إلى عراك تكون أنت ضحيته

ليكن سلام بينك وبين ربك وبين الأقربين ، فلا نوم هنىء بدون هذا السلام . وسالم الشيطان جارك أيضاً لئلا يراودك فى رقادك

أكرم السلطة واخضع لها حتى ولو كانت هذا السلطة عرجاء . إن ذلك ما يقتضيه النوم الهنىء

وما أنا بالجانى إذا كان يحلو للسلطة أن تسير متعارجة

إن خير الرعاة من يقود قطيعه إلى المروج الخضراء ذلك ما يقتضيه الرقاد الهنىء »

لا أطلب كثيراً من المجد ولا وفيراً من المال وكلاهما يؤدى إلى الاضطراب ، ولكنّ المرء لا ينام هنيئاً ما لم يكن له شىء من الشهرة ولديه شىء من المال

أفضّل أن يزورنى القليل من الناس على أن يرتاد مسكنى عشراء السوء ، وهذا العدد القليل يجب عليه ألاّ يطيل السمرَ عندى لئلا يمكّر صفو رقادى

تسرنى مجالسة البلهاء لأنهم يجلبون النعاس ؛ ولشدّما يغتبطون عندما نحبذ حماقاتهم ونشهد باصابتهم

على هذه الوتيرة يقضى فضلاء الناس نهارهم . أما أنا فانى إذا ما أمسى المساء أحترس من أن أراود النعاس لأنه سيد الفضائل ولا يرتاح إلى تحرّش الساهرين

وتحت جنح الظلام أستعرض ما فكّرت فيه وما فعلته فى يومى فأنطوى على نفسى كالحيوان الصبور وأسائلها عما قهرت به أميالها عشر مرات وعما عقدت به الصلح مع ذاتها عشر مرات ،

وعن الحقائق العشر والسرّات العشر التي أُفعمت بها

وبينما أكون مستغرقاً تهزني الأربعون خاطرة يستولي النعاس على فجأة ، وهكذا يسودني الكرى سيد الفضائل دون أن أتوجه بدعوة إليه

يثقل النعاس جفنيّ فتغمضان ، ويلمس فمي فيبقى مفتوحاً

إنه يدلف إليّ كلص محبوب فيسرق أفكاري وأبقى أنا منتصباً كعمود من خشب ، ثم لا تمر لحظات حتى أنطرح ممدداً على فراشي

وبعد أن أصغى زارا إلى هذه الأقوال يقرع الحكيم بها الأسماع تملك ضحكه وأشرق نور في جوانب نفسه فناجاها قائلاً :

يتراءى لي أن هذا الحكيم قد جُنّ تخواطره الأربعين .

ولكنه جد خبير بحالات الكرى . فما أسعد من يجاور هذا الحكيم ! لأن مثل هذا النعاس شديد الانتقال بالعدوى حتى الى وراء الجدران

إن شيئاً من السحر يفوح من منبره العالي ، وما يجتمع هذا العدد من الشبان عبثا حول خطيب الفضائل

إن قاعدة هذا الحكيم إنما هي — اسهروا لتناموا — وفي الحقيقة لو لم يكن للحياة معناها فوجب أن اختار لها حكمة لامعنى لها لما كنت أجد أفضل من هذه القاعدة

لقد أدركت الآن ما كان يطلب الناس قبل كل شيء عندما كانوا يفتشون على أوليات الفضائل ؛ إنهم كانوا يطلبون النوم الهنيء والفضائل التي يتجلىّ على مفرقها تاج المخدرات . وما كانت الحكمة في عرف حكماء المنابر ، وقد نالوا الاعجاب والثناء إلا قاعدة النوم لا تقلقه الأحلام . إنهم لم يكتشفوا معنى أفضل من هذا المعنى للحياة

وكم في أيامنا هذه من أناس يشبهون هذا الواعظ في دعوته الى الفضيلة غير أنهم أقلّ إخلاصاً منه . ولكن هذا الزمان لم يعد زمانهم ولن يطول وقوفهم والكرى يراود أفكارهم فهم عن قريب سيُمددون

طوبى لمن دبّ الى عيونهم النعاس ! إنهم عما قريب سيرقدون

هكذا تكلم زارا

(يتبع)

فليكس فارس

بين أحضان الطبيعة

للشاعر السويسري جوتفريد كلر

أيتها الطبيعة المشرقة . أنشري فوق رداءك الأخضر الجميل وغني حولي بخفيف أشجارك الباسقة الناضرة

وأيقظيني عند تباشير السحر المشرق ، وفي بسمة الفجر المنير

لقد تعبت روحي فذهبت ترفرف عليك حيرى واجفة

ونمست عيني أمام تلك العظمة وهذا الجلال !

فدعيني أحلم بلياليك الزاهرة

* * *

إن وجهك كوجه الطفل في مهده

وأنت تتناجين بخفيف أزهارك التي بللت وجناتها دموع الحزن وجرت على خدّها عبرات الأسى

ولكنها ما تلبث أن تستردّ نضارتها وبشاشتها من جمالك السحريّ

إن قلبي مُفعمٌ بالآلام والأشجان ، ولكنها تتلاشى بين أحضانك الزاهرة ، وتذوب في أجوائك الساحرة ، فأعود كالطفل الطروب

* * *

أيتها الطبيعة : أيتها الصديقة التي وهبتني إخلاصها الأبدي وشبابها الدائم الذي أحيا في قلبي مبت الأمل وضائع المنى

أنت قبلتي التي أؤمها ، وكفني الذي أستظل به

فاذا جاء يوم نسيتُ فيه وفاءكِ ، ولم أوفّك حقك من الاخلاص فاعلمي أني هبطت إلى الدرك الأدنى وأصبحت هائماً ذاهلاً . واعلمي أن قلبي قد أدمته الجراح فنسي كل شيء

* * *

أيتها الطبيعة المشرقة ! قفي بجانبي في معترك الحياة الزاخر وظليني بحنانكِ ، واشملني بعنايتك ، وارقبيني بنظرات الأمومة الحانية . وإذا دنت ساعتي وحانت منيتي فانشري فوق رداءك الأخضر الجميل

ما أبهج الحياة والموت في أوديتك الساكنة !

أحمد فتحي مرسي